مقدمات معاجم الألفاظ العامة العربية القديمة في الميزان النقدي

د. علي محمود الصراف(*)

مدخل

تدور فكرة البحث حول دراسة المقدمات التي وضعها أصحاب المعاجم العربية القديمة، ولا سيما معاجم الألفاظ، أو المعاجم العامة، أو المجنسة؛ وذلك ابتداء من مقدمة (العين) للخليل، وانتهاء بمقدمة (التاج) للزبيدي، تحقيقًا لأهداف تصب كلها في صالح الصناعة المعجمية العربية المعاصرة والمستقبلية.

واقتضت طبيعة البحث والهدف منه أن يُقسم إلى تمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة، يؤدي التمهيد دورًا تعريفيًّا بمجال الدراسة فيعرف بالمقدمات المعجمية وأنواعها ومهامها في المجال المعجمي. أما المباحث فيستعرض أولها محتويات المقدمات وأفكارها الأساسية، ويحلل ثانيها تلك المحتويات المعروضة تحليلاً شكليًّا ومضمونيًّا ليعمق دراسة المبحث الأول، ويمهد للمبحث الثالث، ذلك المبحث الذي يستعرض حسنات المقدمات، ويكشف عن مواطن الجودة فيها، كما يسلط الضوء على الثغرات المنهجية في بعض المقدمات، ثم تأتي الخاتمة بالنتائج والتوصيات، وأخيرًا الهوامش والتعليقات.

* – قسم اللغة العربية – كلية الآداب – جامعة الكويت .

التمهيد

يعرض التمهيد مجال البحث، وتحديد أركانه، فيتحدث عن مقدمة المعجم اللغوي، وأقسامها، ووظائف كل قسم، وأهمية المقدمة للمعجم.

وقد مرت صناعة المعجم العربي بمراحل تطورية على مدى العصور نما خلالها الإنتاج المعجمي العربي نموًّا متميزًا سبق فيه حضارات كثيرة[١]، وكانت البداية على يد الخليل بن أحمد الذي قدم معجمه (العين) أول معجم عربي لغوي يستحق هذا اللقب عن جدارة.

وباعتبار المعجم عملاً يتألف من عناصر، يأتي في أولها المقدمة التي تؤدي وظائف مهمة للمعجم، ولعدم وجود دراسة مستقلة في بحث علمي حول مقدمات المعاجم العامة؛[٢] كان لزامًا علينا دراسة هذه المقدمات في محاولة لخدمة المعجم العربي، وإثراء البحث وتعميقه في هذا الجانب، ورصد التحولات التي مرت بها هذه المقدمات عند العرب؛ للوقوف على نقاط القوة، ومواطن الضعف، والبحث عن السبل المثلى الواجب اتباعها عند صناعة معجم لغوي عام.

واقتصر البحث على دراسة مقدمات المعاجم اللغوية العامة القديمة؛ لتحقيق التخصص والدقة، ولشيوع هذا النوع وغلبته، واستمرار التأليف فيه واستعماله،[٣] كما تم في الوقت نفسه الاقتصار على مجموعة محدودة من معاجم الألفاظ العامة؛ لتحقيق الغاية العلمية التي يبتغيها البحث.

واقتضى كل ما سبق أن نعرف بالمعجم، وبمقدمة المعجم، وأن نشرح أنواع المقدمات وأقسامها؛ حتى يكون ذلك تمهيدًا لصلب البحث ومحتوياته.

التعريف بالمعجم:

يعرف المعجم لغة بأنه اسم مفعول، أو مصدر ميمي، أو اسم مكان من الفعل (أعجم)، ذلك الفعل الذي يدل على إزالة اللبس والغموض والإبهام. [٤]

أما معناه اصطلاحاً:

فيبدو أن التعريف تطور بتطور الصناعة المعجمية الحديثة، وتراكم الخبرة والمعلومات؛ إذ يطلقه الدكتور نصار على الكتب التي راعت في ترتيبها حروف الهجاء أي نوع من المراعاة، ويرى أن الدلالة الملاحظة في الاسم هي الترتيب لا الجمع. (٥)

وبعده استخلص الدكتور أحمد مختار عمر تعريفًا آخر خلاصته أن المعجم كل كتاب ضم بين دفتيه جميع ألفاظ اللغة أو معظمها مرتبة ترتيبًا واضحًا، غالبًا ما يكو هجائيًّا، ومشروحة معانيها. ثم يشترط للمعجم أن يتوفر فيه الترتيب والشمول. (٦)

وزاد المعجم العربي الأساسي لمحة أخرى في التعريف، وذلك في تعريفه المعجم بأنه: " كتاب يضم مفردات لغوية مرتبة ترتيبًا معينًا وشرحًا لهذه المفردات، أو ذكر ما يقابلها بلغة أخرى". (٧)

ويلحظ هنا أربعة ملامح هي: المحتوى (المفردات)، والترتيب، والشرح، وذكر المقابل باللغة الأخرى. (٨)

وبعد التقدم العلمي و التقني ظهرت معاجم متطورة استدعتنا لإعادة تعريف المعجم، فقلت في ذلك بأنه : آلة مرجعية تكشف الحقائق الخاصة بمداخلها المرتبة بطريقة محددة.(٩)

هذا عن التعريف الاصطلاحي للمعجم، وسوف يدرس البحث مقدمات المعاجم اللغوية العامة، أو معاجم الألفاظ، أو المعاجم المجنسة،(١٠) ويزاد عليها قيد (القديمة) التي آخرها معجم (تاج العروس).

تعريف المقدمة لغة واصطلاحاً:

المقدمة – وجمعها مقدمات – اسم فاعل مؤنث من الفعل الثلاثي المزيد بتضعيف العين (قدّم)، ومن معانيها – كما ورد في لسان العرب: " مقدمة العسكر، وقادتهم، وقداماهم: متقدموهم. مقدمة الجيش: الذين يتقدمون الجيش،...، وفي كتاب معاوية إلى ملك الروم:

لأكونن مقدمته إليك، أي الجماعة التي تتقدم الجيش؛ من (قَدَّم) بمعنى: تقدم، وقد استعير لكل شيء، فقيل: مقدمة الكتاب، ومقدمة الكلام،...، وقيل: مقدمة كل شيء أوله".[١١]

ويُفهم من المعنى اللغوي الناحية المكانية للمقدمة حيث تكون مقدمة المعجم في أوله. أما تعريف المقدمة اصطلاحًا، فهي "نص مرجعي يقع في بداية المعجم يعرض معلومات واعتبارات تتعلق بالمعجم؛ مجاله ولغته ومنهج صناعته واستعماله".[١٢]

ويوضح هذا التعريف شيئًا من أهمية المقدمات، تلك الأهمية التي تهدينا إلى غرض الكتاب، أو المعجم، ومنهجه، وميدان بحثه، ومراجعه، وخطته بإزاء هذه المراجع، وغير ذلك من تفصيلات تتعلق بما سبق،[١٣] وقد تشير بعض المقدمات إلى مؤلفات أخرى لصاحب العمل لم نكن نعرف عنها شيئًا،[١٤] كما يدلنا بعضها الآخر بعدم حديثه عن جزء معين من الكتاب أن هذا الجزء كتاب مستقل.[١٥]

وقد يؤدي فقد المقدمة، أو عدم كتابتها أصلاً، إلى عدم اهتدائنا إلى هدف المؤلف وغرضه ومنهجه من كتابه.[١٦]

أقسام المقدمات المعجمية وأنواعها:

"جرى أصحاب المعاجم منذ القدم على أن يقدموا بين يدي معاجمهم تصديرًا، أو مقدمة. وقد فعل هذا أصحاب المعاجم العربية منذ معجم العين للخليل بن أحمد (١٠٠ – ١٧٥هـ) وحتى هذه اللحظة"[١٧].

نفهم من تأمل المقدمات المعجمية أنها تنقسم إلى أنواع يدمجها بعض صُناع المعاجم تحت عنوان "مقدمة"؛ لتشمل أجزاءها، وأنواعها كلها تحت هذا العنوان، وقد يفرق بعض المعجميين بين أجزائها في تصنيفه. ومنهم من يكتفي ببعض هذه الأنواع والأجزاء فيحذف بعضها؛ لعدم حاجته إليها، ويكون ذلك وفقًا لرؤية صاحب المعجم في التأليف.[١٨]

وتنقسم أنواع المقدمات وأجزاؤها إلى ما يأتي:

١- **التصدير**: هو نص يقع في بداية المعجم، وقبل مقدمته، يشير فيه صانع المعجم، أو الناشر، إلى أهداف العمل المعجمي، والوظائف التي يرجو تحقيقها.[١٩]

ويتضمن التصدير عادة أصناف المعلومات الآتية:

أ- وظائف المعجم، مثلاً: المساعدة في فهم النصوص المتخصصة، أو إنتاجها، أو ترجمتها.

ب – تحديد المجال الذي يغطيه المعجم.

ج – تحديد مجموعة المستعملين الذين يُعد المعجم من أجلهم.

د – بيان معايير اختيار مادة المعجم وأهم مصادرها.

هـ – مدى تغطية المعجم للمجال الذي صُنع من أجله.

و – معلومات عن المعجمي وغيره من المشاركين في إعداد المعجم، بالإضافة إلى كلمات الشكر والتقدير.

ز – معلومات عن الجديد عند وضع التصدير لطبعة جديدة من المعجم. [٢٠]

٢- مقدمة المعجم: هي ركن أساسي من أركان المعجم، وهي النص المرجعي الذي يقع بعد التصدير، ويتناول معلومات أكثر تنوعًا وتفصيلاً منه، وأهمها:

أ- بعض المعلومات الخاصة بفريق العمل، والمشاركين في إعداد مادة المعجم.

ب – منهج المعجم؛ سواء في اختيار المداخل، أو تحريرها، أو بيان النطق، والهجاء، وطريقة شرح المعنى والاستعمال، وذكر الأمثلة والمصاحبات اللفظية والتعبيرات السياقية والمصطلحات العلمية، وغيرها.

ج – طريقة ترتيب المعجم خارجيًّا وداخليًّا.

د – مميزات المعجم وأهم خصائصه، ونوع مستعمليه.

هـ– إرشادات الاستخدام، وطريقة الاستفادة من المعجم.

و – القيم الصوتية لرموز النطق.

ز – بيان بالرموز والاختصارات الواردة في المعجم، (وقد ترد منفصلة).

ح – آلية التعامل مع المستويات والمكونات اللغوية للغة المدروسة في المعجم.

ط – أهم المصادر والمراجع. [٢١]

وفي بعض الأحيان قد تضع بعض المعاجم أكثر من مقدمة من هذا النوع في أول المعجم، فتضيف إليها معلومات أخرى، مثل خطة العمل في المعجم ومعلومات عن محتوياته، وأهم مميزاته. (٢٢)

وقد تجمع المقدمة المفردة جميع المعلومات السابقة دون أن تتعدد أو تتنوع.

٣- **مرشد الاستعمال**: هو نص معجمي مرجعي يرد بعد المقدمة والتصدير أو يتم تضمينه في المقدمة، وهو يساعد مستعمل المعجم في الوصول إلى المعلومات المعجمية بسرعة ويسر وسهولة، ولاسيما عندما يسرد قوائم بدلالات الرموز والرسوم المستخدمة في المعجم(٢٣). ولابد من التأكيد مرة أخرى أن دمج محتوى مرشد الاستعمال مع مقدمة المعجم بشكل متصل في نص واحد أمر وارد، وخاضع لرؤية المعجمي في التأليف.

والذي يراه البحث أن هذا الجزء من المقدمات تزداد أهميته يومًا بعد يوم؛ للتقدم المتزايد في الصناعة المعجمية، وتزايد الإقبال على استعمال المعاجم، واللجوء إليها كثيرًا، لضخامة عدد المتعلمين والاهتمام بتعلم اللغات القومية والأجنبية. كما يعود السبب في الاهتمام بمعلومات الاستعمال، وذكرها في هذا الجزء من المقدمة غالبًا أن "هناك تنوعات كثيرة ومستويات متعددة داخل اللغة الواحدة، وعلى المتكلم حين يقوم بعملية التواصل أن يختار من الألفاظ ما يلائم سياق الحال من ناحية، والعلاقة بينه وبين المخاطب من ناحية أخرى".(٢٤)

كما أن واحدة من "وظائف المعجم أن يحدد مستوى اللفظ، ودرجته في الاستعمال ضمن إطار معين يصف التنوع اللغوي ويحدد مستواه، والسياق الذي يؤثر فيه. ولا يخلو معجم – مهما كان حجمه – من قدر من التصنيف للكلمات، وإن جاء ذلك بنسب متفاوتة حسب نوع المستعمل الذي يضعه مؤلف المعجم في ذهنه".(٢٥)

أما المعلومات التي يتضمنها مرشد الاستعمال فتتضح فيما يأتي:

أ- بيان أنواع المعلومات الموجودة في كل مكون معجمي على حدة باستثناء التصدير والمقدمة؛ لعدم ارتباط هذين المكونين بالاستخدام الفعلي للمعجم.

ب – شرح كيفية تنظيم المعلومات المختلفة وتصنيفها، وإرشاد المستعمل في الوقت نفسه إلى طريقة العثور عليها، ومن أمثلة ذلك: بيان الطريقة المتبعة في ترتيب المداخل، ونوع الترتيب المستخدم، وبنية المادة المعجمية، وأصناف المعلومات المقدمة فيها. وترجع أهمية بيان نوع الترتيب المتبع في المعجم إلى أن عدم معرفة المستخدم به قد تجعله في بعض الأحيان يظن مخطئًا غياب المدخل الذي يبحث عنه.

ج – بيان كيفية التفاعل بين مكونات المعجم، وتزداد أهمية هذه المعلومات بزيادة تعقد بنية المعجم. (٢٦)

د – بيان بالمختصرات والرموز المستخدمة في المعجم، (وقد تُضمن في المقدمة، أو تُكتب مستقلة عنها). (٢٧)

٤- **المقدمات العلمية**: هي مكون مستقل يرد أحيانًا في بعض المعاجم، ولاسيما إذا وُجِّه المعجم لخدمة شريحة خاصة من الناس، أو كان المعجم متخصصًا في حقل معرفي أو علمي ما، إلا أنه قد يرد في معاجم الألفاظ العامة كذلك. وتختلف المعلومات المتضمنة في هذه المقدمات باختلاف نوع المعجم، والشريحة الموجَّه إليها، فإذا كان المعجم معجمًا لغويًّا عامًّا – على سبيل المثال – حفل بمعلومات حول أسس اللغة المختارة، وقواعدها في المعجم، كما يمكن أن يناقش قضايا لغوية مهمة يختارها المؤلف وفق رؤيته، مثل: أصل اللغة, وبعض جوانبها التاريخية، وبعض خصائصها، وأسرارها، وغير ذلك.

هذه هي مقدمات المعاجم اللغوية، وما يتعلق بمفهومها، وعناصرها، أو أقسامها، والوظائف المنوطة بكل قسم، أو نوع، ومدى تحقق هذه الأقسام في

كل مقدمة على حدة مما سيكشف عنه البحث بإذن الله، لكن اللافت هو اشتمال أول مقدمة لأول معجم لغوي عربي على عناصر يمت بعضها إلى التصدير، وبعضها إلى المقدمة، وبعضها إلى مرشد الاستعمال، وأخيرًا فيها من المقدمات العلمية، وهذا من حسن الطالع في مجال الجهود المعجمية العربية القديمة.

المبحث الأول : استعراض محتويات المقدمات

يكتفي البحث – في هذا الجزء المبكر منه – باستعراض محتويات المقدمات التي افتُتحت بها معاجم الألفاظ العامة، تلك المقدمات التي سبق التعريف بها في التمهيد.

وسوف يعتمد الاستعراض على نص المقدمات نفسها دون صلب المعجم ومتنه، ولن يلجأ البحث إلى المتن إلا عند الضرورة لتوضيح فكرة وردت في المقدمات.

كما سيسترشد بالتحليلات الجادة العميقة التي قدمها العلامة الدكتور حسين نصار في (المعجم العربي نشأته وتطوره). ويسير الاستعراض والتتبع للمقدمات حسب الترتيب الزمني لتاريخ وفاة المؤلفين أصحاب المعاجم المدروسة مقدماتها.

١ – مقدمة معجم "العين" للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ):

أول مقدمة لأول معجم عربي يصل إلينا كاملاً، وهي طويلة، رسم فيها الخليل خطوطًا أساسية كثيرة كانت هادية لكثير ممن جاء بعد ذلك.

بدأت باستهلال ديني قصير، ثم أشارت إلى نسبة الكتاب وروايته إلى الخليل، وقدمت تعريفًا بهوية الكتاب، وسبب تأليفه وغرضه، ومحاولة الحصر والإحصاء، وذلك في مجال الأصوات؛ لتسويغ الفكرة الصوتية التي أسس عليها الجذرية والاشتقاقية، وارتضاء الترتيب المخرجي والبدء بالعين مع سرد الأصوات العربية مخرجيًّا، وتسمية كل مجموعة.

وتنتقل المقدمة من المجال الصوتي إلى المجال الصرفي حيث تقسيم أبنية الكلام العربي إلى أربعة أقسام، والحديث التفصيلي عن كل قسم، بدءًا من الثنائي إلى الثلاثي فالرباعي

والخماسي، والأحرف الذلق، والشفوية، إلى آخر هذه المسائل التي تُعد من المقدمات العلمية التي أشرنا إليها في بداية البحث.

بعد ذلك وضحت المقدمة اختيار المداخل، والحديث عن فكرة التقاليب والمهمل والمستعمل ثم العودة مرة أخرى إلى مخارج الحروف وترتيبها في المعجم، والترتيب الداخلي وفق الكمية وأسباب ذلك، والسبب في البدء بالمضاعف، وكان غرض المقدمة من استعراض فكرة التقاليب المؤسسة على الأبنية والكمية تحقيق غرض المعجم في الحصر والشمول وضبط اللغة، وباختصار تحدثت عن منهج الخليل في تأليف معجمه وفي عرض مادته[٢٨].

٢ – مقدمة معجم "جمهرة اللغة" لمحمد بن الحسن بن دريد (ت٣٢١هـ):

وردت لهذا المعجم مقدمتان، الأولى قصيرة يمكن عدها تصديرًا،[٢٩] والثانية طويلة تُعد مقدمة عادية.

بدأت الأولى باستهلال ديني إسلامي طويل مسجوع، وذكرت رواة نسخة المعجم منسوبًا إلى ابن دريد، ثم انتقلت إلى سبب التأليف وغرضه، ثم الاعتراف بتقليد القدماء، ومخالفته ترتيب الخليل، وسبب ذلك، ثم ذكر المنهج في تقسيم الأبواب، وإشارة منهجية موجزة لاختيار المداخل المعجمية وأنواع المادة المجموعة[٣٠]، وما أضافه من زيادات، ثم خُتمت بدعاء ديني.

وبدأت المقدمة الثانية بالبسملة، وشرح عنوان الكتاب، ووظيفة المعجم، وسبب اختيار العنوان بما يكشف عن منهج اختيار المداخل،[٣١]، ويمهد للمقدمات العلمية – صلب المقدمة الثانية – بمسوغات توضح أهمية الانطلاق من معرفة الأصوات[٣٢]؛ لإدراك طبيعة اللغة ومادتها وثروتها اللفظية، ويدخل فيما يحتاج إليه قارئ الكتاب مما يُسمى "إرشادات الاستعمال" التي تدور حول الأصوات اللغوية عربية وأعجمية، ومدى دوران الأبنية على ألسنة العرب، وحروفها الأصلية والزائدة، ودعم ذلك كله بالشواهد، والأدلة المساندة.

٣ – مقدمة معجم "تهذيب اللغة" لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت ٣٧٠هـ):

وردت هذه المقدمة طويلة جدًّا تليق بمعجم ضخم، وتعرض موضوعات متنوعة، وتنقسم إلى مقدمة وثلاثة أبواب وخاتمة.

بدأت المقدمة بذكر رواية المعجم، والاستهلال الديني، ثم الربط بين العربية والقرآن الكريم والسنة الشريفة، والإشارة إلى فهم العرب القدماء للعربية وعدم فهم المولدين لها، وحاجتهم إلى من يشرحها لهم.

وهنا يوضح المؤلف وظيفة من وظائف معجمه، وهي الوظيفة التعليمية، وسد حاجة المولدين إلى الفهم.

وانتقلت المقدمة إلى بيان فضل العربية واتساعها، والدواعي إلى تأليف المعجم، وقصة وقوعه في الأسر، وأثرها في السماع عن العرب، ثم ذكر اللغويين الذين جمع عنهم اللغة، وتقسيمهم إلى طبقات زمنية، وكتبهم، ثم يخص العين بالتقديم، وكونه مصدرًا أساسيًّا، وتحدثت المقدمة عن منهج المؤلف في التعامل مع المادة اللغوية، ومنهجه في الترتيب الداخلي والخارجي لمداخله.

هذا عن المقدمة، أما الأبواب فكان الأول في تصريف أفعال حروف اللين، والثاني في تفسير الحروف المقطعة في القرآن الكريم، والثالث في الحديث عن ألقاب الحروف ومدارجها وأحيازها.

وهذه الأبواب مقدمات صوتية ترتبط بجوانب صرفية مع إشارة إلى فكرة التقاليب، وفيها انتصار للخليل ومنهجه في اتباع النظام المخرجي، وتيسير استعماله.

وفي الختام سبب تسمية المعجم (تهذيب اللغة) مما يعكس منهجه في اختيار ما صح عن العرب والثقات. واختُتمت بدعاء إسلامي.

٤ – مقدمة معجم "المحيط في اللغة" للصاحب إسماعيل بن عباد (ت ٣٨٥هـ):

هذه المقدمة متوسطة الطول بلغت خمس صفحات من المطبوع، بدأت باستهلال قصير جدًّا: البسملة، وقوله: (وبه ثقتي). [٣٣]

ثم ذكرت تقسيم كلام العرب إلى الثنائي والثلاثي والرباعي والخماسي، وتزاد هذه الأبنية حتى تبلغ سبعة، وشرحت المقدمة كل ما يتصل بالأبنية السابقة، ثم تحدثت عن الصحيح والمعتل بأنواعهما المختلفة. وبعد ذلك بدأت تذكر ما يمكن عده من المقدمات العلمية، أو عده بيانًا بالمنهج الذي اتبعه الخليل واتبعه صاحب المعجم كذلك في صورة حوار متكرر أسلوبه هو: فإن قال قائل... قيل له... [٣٤]. وانتهت المقدمة بذكر السبب في ابتداء الخليل أبنيته بالمضاعف؛ لأنه أخف على اللسان.

٥ – مقدمة معجم "تاج اللغة وصحاح العربية" لإسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٣هـ):

وردت المقدمة قصيرة جدًّا مسجوعة، بدأت بطريق الرواية ثم الاستهلال الديني، وبعده بينت منهج المؤلف في اختيار مادته المعجمية مما صح عنده من اللغة العربية المروية عن الأقحاح.

ثم مدحت العربية وربطتها بالإسلام، وبينت بعضًا من خصائص المعجم، وفي مقدمتها طريقة الترتيب المتبعة وفقًا لترتيب حروف المعجم الألفباء، وليس وفقًا للترتيب المخرجي، وانتقلت إلى شرح طريقة الترتيب واتباعها نظام الأبواب بحسب الحرف الأخير من الجذر، والفصول بحسب الحرف الأول من الجذر داخل كل باب.

وتذكر المقدمة – على قصرها الشديد – ابتكار هذا النوع من الترتيب الذي قسم المعجم إلى (٢٨) ثمانية وعشرين بابًا، ينقسم كل باب إلى (٢٨) ثمانية وعشرين فصلاً.

ثم انتقلت المقدمة إلى بيان المصادر التي اعتمد عليها المعجم في جمع مادته، وتنحصر في الرواية والدراية والمشافهة. وخُتمت المقدمة بإخلاص النصح والعمل الجاد، ثم الدعاء لله.

٦ – مقدمة معجم "مقاييس اللغة" لأحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ):

جاءت المقدمة قصيرة جدًّا – صفحة واحدة – [٣٥] ؛ بدأت باستهلال ديني، وطريق رواية المعجم، وبيان فكرة المقاييس التي تتضمنها العربية والأصول التي تتفرع عنها فروع.

وتحدثت المقدمة عن تأليف الناس في جوامع اللغة، وعدم إعرابهم عن مقاييسها، فجاء المعجم لينص على هذه المقاييس، ثم أشارت إلى أن عمله علم جليل وعظيم، كما تحدثت عن منهج المعجم، وتصدير كل مدخل بأصله الذي تتفرع منه مسائله بعبارة بسيطة موجزة دالة، وتحدثت كذلك عن مصادر المعجم، وتنحصر في خمسة كتب (العين، وغريب الحديث، والغريب المصنف، وكتاب إصلاح المنطق، والجمهرة)، تلك الكتب التي اعتمد عليها فيما استنبطه من مقاييس اللغة مع الإشارة إلى الاعتماد على كتب أخرى في بعض الأحيان، مثل فصيح ثعلب وهمز أبي زيد، والإبل والأجناس للأصمعي، وذلك في مجال النادر.

٧ – مقدمة معجم "المحكم..." لابن سيده (ت ٤٥٨هـ):

بدأت المقدمة باستهلال ديني، ودعاء بالإعانة وطلب الهداية، ثم خاطبت طالب العلم، وشرعت في الحديث عن هدف المعجم الذي يرمي إلى جمع المواد اللغوية المشتتة، والموزعة في الكتب والمعاجم، وشرح هذه المواد بالمأثور من أقوال العرب، ثم ربطت العربية بالقرآن الكريم والحديث الشريف، والسعي إلى تصحيح ما في هذه المواد من آراء نحوية وصرفية خاطئة.

وأشارت المقدمة إلى حذف أمور مكررة أو حشو، والتنبيه على أمور غابت عن بعضهم، والتمييز بين الأمور المتشابهة، وتفاخرت بالكتاب، وتمدحت بمزاياه، وتحدثت عن المنهج وأسس هذا المنهج القائمة على منهج العين والتهذيب. (٣٦)

وذكرت المقدمة الكتب التي رجع إليها، ومنها اقتباسه جميع ما في العين والجمهرة والبارع، ثم الاعتماد على الغريب المصنف وإصلاح المنطق وكتاب سيبويه وكتب الفارسي والرواني وابن جني، وتفاسير القرآن وشروح الحديث. وخُتمت المقدمة بالدعاء والفخر بالذات والكتاب.

٨ – مقدمة معجم "أساس البلاغة" لمحمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ):

جاءت المقدمة قصيرة نسبيًّا، وبدأت باستهلال ديني طويل، مع ذكر طريق رواية المعجم، وكان الاستهلال يهيئ الجو العام لمجيء الكتاب في البلاغة، ويعكس نمـط شخصية

المؤلف الفكرية والـدينية. [٣٧]، وربطت المقدمة بين الجانب الديني واللغوي، والتحديات التي يواجهها رجال الدين في جوانب اللغة، وذلك هدف المعجم الجامع بين الديني واللغوي والبلاغي والأدبي.

وتحدثت المقدمة عن حدود المجال اللغوي الذي تناوله، ومصادره السماعية والمنقولة عن الكتب السابقة، ثم أشارت إلى مميزات المعجم، ولمحات عن المنهج في اختيار المداخل، وطرق الشرح، والتمييز بين الدلالات الحقيقية والمجازية للمفردات، ووضحت المقدمة أسس المنهج الذي اتبعه المعجم، وملمحيه الأساسيين، وهما:

أ – ترتيب الألفاظ تبعًا لأصول جذورها ترتيبًا ألفبائيًّا بحسب الحرف الأول من أصول الجذر، مع مراعاة الحرف الثاني فالثالث...

ب – تقسيم مواد المعجم وألفاظه إلى قسمين، أولهما للمعاني الحقيقية والثاني للمعاني المجازية.

ومدحت المقدمة طريقة الترتيب وسهولتها ثم خُتمت بدعاء إسلامي.

٩ – مقدمة معجم "لسان العرب" لعبدالله محمد بن مكرم بن منظور (ت ٧١١هـ):

جاءت المقدمة طويلة، ذات ثلاثة أقسام، الأول مقدمة المعجم، والثاني والثالث مقدمتان علميتان. بدأت المقدمة برواية المعجم، والاستهلال الديني، وربطت بين الدين واللغة العربية، وتحدثت عن فضلها وأهميتها، والحديث عن عدم تقديم القدماء عملاً متكاملاً من حيث الجمع، وانتقل إلى هدف المعجم، ومدح معجمي (تهذيب اللغة) و (المحكم)، وسبب انصراف الناس عنهما، تمهيدًا لاختياره منهج الجوهري في الصحاح في ترتيب المداخل.

وتحدثت عن مصادر المعجم من الصحاح والنهاية وحواشي ابن بري وما اعتمده ابن منظور من هذه المصادر، ومنهجه مع بعض الجوانب التنظيمية للمادة اللغوية والشواهد.

وأشارت المقدمة إلى طبيعة المعجم، ومعلوماته الموسوعية والتاريخية وشواهده المتعددة، وأشارت إلى ميزات المعجم في سهولة الاستعمال وقيمة مادته، كما أشارت إلى أن المادة كلها مجموعة من الكتب، وأهداف المعجم، والصعوبات التي واجهته.

وخُتمت بنص دعائي طويل، وجاء الفصلان مقدمتين علميتين أولاهما عن الحروف المقطعة في القرآن الكريم، وثانيهما حول ألقاب الحروف وخصائصها.

١٠ – مقدمة معجم "المصباح المنير" لأحمد بن محمد الفيومي المقري (ت ٧٧٠هـ):

وردت المقدمة متوسطة أقرب إلى القصر، بدأت بالرواية عن المؤلف واستهلال ديني، وحكاية تأليف المعجم، والهدف منه، وطريقته في ترتيب المادة داخل الباب الواحد، ومصادر المعجم.

ثم بينت مميزات المعجم ومنهجه في العناية بالمشتقات كثيرًا،[٣٨] والالتزام بأبواب الأفعال، وجموع الأسماء والصفات، والإكثار من المسائل اللغوية والصرفية والنحوية. [٣٩] وأخيرًا جاءت الخاتمة دينية إسلامية.

١١ – مقدمة معجم "القاموس المحيط" لمحمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨٢٦هـ):

جاءت المقدمة متوسطة مسجوعة بليغة، بدأت بالاستهلال الديني، وتحدثت عن أهمية العربية وعلم اللغة، والربط بين اللغة والدين، وذلك تمهيد للحديث عن هدف المعجم وأهميته.

ونوهت المقدمة بجهود السابقين في خدمة العربية وجهود المؤلف كذلك، وأهمية المعجم، وسبب وضعه، ومنهجه ومصادر مادته ومميزاته، والشريحة المستهدفة لاستعماله، واختيار اسمه.

وتحدثت المقدمة عن موقف المعجم من الصحاح، ومدى الاستفادة منه، ونبهت عن بعض الأخطاء التي وقع فيها الصحاح، وأشارت إلى منهج المؤلف في تسجيل الإضافات باللون الأحمر، ثم تعود المقدمة إلى سرد خواص المعجم مع بيان لمحات أخرى حول المنهج، وبعض التوجيهات لمستعملي المعجم، وذكر الرموز المستعملة في داخل المعجم.

ثم عادت المقدمة للحديث عن جوانب في منهج التأليف تتعلق بالمادة المأخوذة من الصحاح، ولاسيما جوانب التصويب.

وعادت المقدمة – مرة ثانية – إلى الحديث عن العربية وفضلها وضرورة الاهتمام بها، وقصة إهداء المعجم إلى الملك وذكر فضائله.

وتُختتم المقدمة بذكر مصادر المعجم ومراجعه التي تتعدى ألفي مصدر، ثم الختام الديني بالدعاء.

١٢ – مقدمة معجم "تاج العروس من جواهر القاموس" للسيد محمد مرتضى الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ):

جاءت المقدمة طويلة جدًّا مؤلفة من تصدير، وجزء أساسي وخاتمة، بدأ التصدير بالاستهلال الديني المصوغ بعبارات بلاغية مزركشة، وتحدث عن قيمة التأليف وصعوباته، وعمل المؤلف في هذا المجال الصعب، وأثنى على القاموس المحيط، ومنهجه والعلماء الذين تناولوه بالشرح والدراسة.

ثم ذكر الاهتمام بشرح القاموس المحيط وتنقيحه، وحاجة الناس إلى هذا العمل، والأهداف وبعض الجوانب المنهجية التي يبغي تحقيقها وذكر المصادر والمعلومات المتصلة بها.

وبيَّن التصدير ملامح من منهجه في التأليف والاختيار والعرض والشرح، كما ذكر مصادر جمع المادة، وسبب اختيار الاسم وأمله في أن ينال المعجم إعجاب العلماء دون الجهلاء، ثم يدعو لنفسه وللمعجم، ويختم التصدير بالاستغفار.

وجاء القسم الثاني من المقدمة طويلاً، ومعنونًا بكلمة (مقدمة) ومشتملاً على عشرة مقاصد تنوعت مجالاتها ضمن المقدمات العلمية، تعرض الأول لتوقيفية اللغة أو اصطلاحيتها، وتعرض الثاني لسعة اللغة العربية، وتحدث الثالث عن عدة أبنية الكلام والمهمل والمستعمل والصحيح والمعتل من ألفاظ هذه الأبنية.

وعرض المقصد الرابع للمتواتر والآحاد من اللغة، والخامس لأفصح الناس، والسادس عن المطرد والشاذ والحقيقة والمجاز،...إلخ.

وعرض السابع لآداب اللغوي، والثامن لمراتب اللغويين، والتاسع لترجمة حول مؤلف القاموس المحيط وما يتعلق به، وتحدث العاشر عن أسانيد الشارح ورواية القاموس المحيط.

وأخيرًا جاءت الخاتمة فشرحت مقدمة الفيروزآبادي كلمة كلمة، وعبارة عبارة.

المبحث الثاني : تحليل محتويات المقدمات

بعد استعراض محتويات المقدمات المعجمية في المبحث السابق، نقدم في هذا المبحث دراسة تحليلية لهذه المحتويات، وما يتصل بها من مسائل؛ ليكون ذلك توضيحًا وتوسيعًا لما جاء في المبحث السابق، وتمهيدًا للمبحث الثالث المتعلق بالدراسة النقدية للمقدمات، وتيسيرًا للدراسة نقسم المبحث إلى جانبين، يتعلق أولهما للتحليل الدائر حول الشكل، ويتعلق ثانيهما بجانب المضمون على التفصيل الآتي:

أولاً: ما يتعلق بالشكل: نعرض في هذا الجانب للنقاط الآتية:

١ – مقدمات المعاجم بين الطول والقصر:

تنوعت المقدمات السابقة بين الطول والتوسط والقصر، وذلك حسب التصنيف الآتي:

أ – مقدمات طويلة جدًّا، وهما مقدمتا (التهذيب) و (تاج العروس).

ب – مقدمات طويلة، وهي مقدمات (العين) و (الجمهرة) و (المحكم).

ج – مقدمات متوسطة الطول، وهي مقدمات (المحيط) و (اللسان) و(المصباح) و(القاموس).

د – مقدمات قصيرة، أو شديدة القصر، وهي مقدمات (الصحاح) و(المقاييس) و(الأساس).

٢ – مقدمات المعاجم بين التوحد والتوزع:

تنوعت هذه المقدمات بين مجيئها على شكل نص واحد، وانقسامها إلى جزءين فأكثر، وذلك على التقسيم الآتي:

أ – مقدمات وردت كتلة واحدة، مهما كان طولها، ومن ذلك مقدمات (العين) و(المحيط) و(التاج) و(المقاييس) و(المحكم) و(الأساس) و(المصباح) و(القاموس).

ب – مقدمات وردت مقسمة أو موزعة إلى أجزاء، ومنها: مقدمة (الجمهرة) و(التهذيب) و(اللسان) و(التاج).

٣ – اللغة التي صيغت بها المقدمات:

تعالج المعاجم العربية مفردات العربية مشروحة باللغة العربية شارحة، وينبغي أن تكون الشارحة علمية دقيقة واضحة؛ لأن مقدمات المعاجم أشبه بمفاتيح الخرائط؛ لذا يُشترط فيها أن تكون لغتها سهلة ومباشرة يفهمها الجميع بيسر. وقد جاءت لغة المقدمات متنوعة على الشكل الآتي:

أ– مقدمات صيغت بلغة دقيقة واضحة بدون زخرفة، ومنها مقدمة (العين) و(التهذيب) و(المقاييس).

ب– مقدمات وردت مسجوعة مزخرفة ما بين بليغة ومتكلفة، ومنها مقدمة (الجمهرة) و(القاموس) و(الأساس) و (التاج)[٤٠].

٤ – مقدمات المعاجم بين النص والتناص:

يتضح من تأمل المقدمات السابقة أنها وقعت تحت التأثير السحري للخليل بن أحمد وعبقريته، ومعجمه ومقدمة معجمه؛ إذ نرى التأثر الواضح بمقدمة العين ابتداء من مقدمة الجمهرة وانتهاء بمقدمة تاج العروس، سواء كان هذا التأثر بالنقل النصي لكثير من نصوص المقدمات، أم كان التأثر بأفكار المقدمة ومبادئها وموضوعاتها الجزئية مما يمكن تسميته النص أو التناص.

ولعل من أبرز النقاط (المتناصة) نقطة الاستهلال الديني، طال هذا الاستهلال وتنوعت عباراته، أم قصر مكتفيًا بالبسملة والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله والدعاء.

ونلاحظ في هذا المقام تناص كثير من المقدمات حول بيان فضل العربية وسعتها وأهميتها وارتباطها بالدين والقرآن والسنة.

٥ – طبيعة الاستهلال الديني في المقدمات:

لم ينسَ أصحاب المعاجم وهم يؤلفونها أنها لخدمة الدين الإسلامي والقرآن الكريم والحديث الشريف قبل أن تُؤلف لخدمة اللغة العربية؛ من هنا كان الافتتاح ذا صبغة إسلامية،

يبدأ عادة بالبسملة فالحمد لله فالصلاة والسلام على رسول الله، ثم يتخلله أحيانًا الدعاء للمؤلف أو للكتاب أو لطالب العلم.

ويطول الاستهلال أحيانًا ويتوسط أو يقصر؛ وقد يبلغ حدًّا من القصر بحيث لا يزيد عن كلمتين (وبه ثقتي) فقط.

ثانياً: **ما يتعلق بالمضمون**: نعرض في هذا الجانب للنقاط الآتية: [٤١]

١ – مدى تطرق المقدمات إلى طرق رواية المعجم:

تأثرت مقدمات المعاجم بما ورد في مقدمة العين التي سنت هذه الطريقة، حينما بدأت بذكر رواية المعجم ونسبته إلى الخليل بن أحمد.

وقد فعلت ذلك مقدمة (الجمهرة) و (التهذيب) و (التاج) و (المقاييس) و (الأساس) و(اللسان) و (المصباح).

أما المقدمات التي لم تشر إلى طريق رواية المعجم، فهي مقدمات (المحيط) و(المحكم) و القاموس) و(التاج).

٢ – تطرق المقدمات إلى سبب التأليف:

يُعد تأليف المعجم اللغوي عملاً شاقًّا وضخمًا، ولاسيما أن من يقوم بذلك شخص واحد؛ فالمعاجم العربية القديمة أعمال فردية قام بها أشخاص منفردون، ولابد أن يكون وراء التأليف سبب قوي خاص بكل معجم بعيدًا عن الأسباب العامة للدراسات اللغوية بصفة عامة.

كان الهدف من وراء (العين) ضبط اللغة وحصر مفرداتها، والسبب من تأليف (الجمهرة) حشد الشائع من كلام العرب دون الغريب والوحشي، وألف الأزهري (التهذيب) متفقًا مع ابن دريد، وزائدًا عليه مساعدة المولدين على فهم اللغة، وسد حاجتهم.

أما الجوهري فاختار في (الصحاح) ما صح عنده من العربية. وكان هدف ابن فارس في (المقاييس) مغايرًا لكل ما سبق؛ لأنه ركز على (الكليات) أو الأصول أو (المقاييس).

وهدف ابن سيده إلى جمع المشتت وشرحه وتوضيحه إلى غير ذلك من أهداف سعى إلى تحقيقها في معجمه، ونلاحظ التوسع والتفريع في أسباب التأليف، وكذلك عند الزمخشري

في (الأساس)؛ لأنه جمع بين الديني واللغوي والأدبي والبلاغي. أما (اللسان) فكان هدفه تقديم عمل متكامل من حيث الجمع والوضع.

وذكر الفيومي والفيروزآبادي والزبيدي أهدافهم وأسباب تأليفهم في مقدمات معاجمهم.

٣ – حديث المقدمات عن المنهج:

يُراد بالمنهج هنا طريقة المعجم في ترتيب مواده اللغوية المعروضة على صفحاته، ويُراد به كذلك طريقة المعجم في جمع المواد السابقة، وطريقته في الشرح.

ونعرض للمسائل المتعلقة بالمنهج من خلال حديث المقدمات نفسها عن هذه المسائل مع التنبيه إلى أن حديث المقدمات عنها ليس سواء.

أ – حديث المقدمات عن جمع المادة:

خضعت فكرة الجمع للهدف المصنوع من أجله المعجم؛ لذلك نرى الخليل يعتمد مصدرين هما جهده الشخصي في الرواية عن الأعراب، وأخذه عن الرسائل السابقة عليه، وصمم منهجه في هذه المسألة تصميمًا عقليًّا منطقيًّا حاصرًا مبنيًّا على حصر أصوات العربية وأبنيتها وتقليبات هذه الأبنية وبيان المهمل والمستعمل منها.

ومعلوم أن الخليل جمع في معجمه الواضح والغريب مخالفًا من كان قبله عن الذين كانوا يركزون على الغريب فقط.

وجاء ابن دريد فركز في جمع مادته على الواضح وألغى الوحشي المستكره، وسار الأزهري على منهج ابن دريد مع السماح لمعجمه بضم مادة لغوية ضخمة سنحت له عن طريق سماعه الشخصي من الأعراب، وما تسنى له من رواية عن لغويين كثيرين بعد الخليل وابن دريد؛ ولذلك قسم اللغويين إلى طبقات زمنية، وذكر منهجه في التعامل مع مادته اللغوية المأخوذة منهم.

أما مقدمة (المحيط) فلم تشر إلى هذه النقطة أصلاً، وجاءت مقدمة الصحاح لتشير إلى اختيار الجوهري ما صح عنده من كلام العرب الأقحاح. واختص ابن فارس في مقاييسه بنوع من الجمع يحقق له هدفه في الحصول على المعنى المعجمي الأساس، أو الأصل الذي

تتفرع عنه فروع. وتعامل ابن سيده في المحكم مع المواد اللغوية المشتتة في المعاجم والكتب السابقة، فجمعها وشرحها. وتحدثت مقدمة الزمخشري عن المادة اللغوية في الأساس، وجمعها بين الرواية من الكتب السابقة وسماع المؤلف نفسه.

وأشارت مقدمة اللسان إلى جمع المادة من لغة العرب الموزعة في المصادر السابقة، مع تحديدها مصادر المادة المجموعة مع الإشارة إلى اللجوء إلى الجمع غير المباشر؛ لاستحالة الجمع المباشر بعد زوال الفصاحة. ولم تشر مقدمة المصباح إلى جمع المادة، في الوقت الذي أشارت فيه مقدمة القاموس إلى استقاء المادة من كتابيه (اللامع) و (الجامع) ، وذكرت مقدمة التاج ما يتصل باختيار الألفاظ وتصويبها وشرحها وسرد الشواهد عليها.

ب – حديث المقدمات عن الشرح والتفسير:

يبدو أن هذا الجانب من المنهج لم يكن واضحًا في ذهن المؤلفين، أو أنه – وهو الأقرب إلى الصواب – ترك الحديث عن ذلك إلى ما هو معروض بالفعل داخل المعجم؛ ذلك المعروض الذي يزيد ثلاثة أرباع الحجم مما يتعلق بالشرح والتفسير والاستشهاد على صحة المعاني المعروضة.

ومع ذلك طرحت بعض المقدمات إشارات إلى شرح المعنى وشيء من طرق الشرح، ومن هذه المقدمات مقدمة المقاييس التي أشارت إلى فكرة الأصول والمقاييس وتوضيح الدلالات وفروعها الدائرة في هذا الفلك.

ومن ذلك أيضًا مقدمة الأساس التي أشارت إلى فصل الدلالة الحقيقية عن الدلالة المجازية.

أما مقدمة التاج فأشارت إلى الاهتمام بشرح مواد القاموس والتفريع عليها والإكثار من الشواهد على ذلك.

ج – حديث المقدمات عن ترتيب المادة المعجمية:

بلغ من أهمية الترتيب في المعجم أن صارت هذه المسألة مرادفة لكلمة المنهج في الصناعة المعجمية... منهج المعجم الفلاني أي طريقته في ترتيب مادته المعجمية.

وتتضح أهميتها كذلك في مجال المعجم أنه لا يجوز التفريط ولا التهاون فيها، في الوقت الذي يتساهل أحيانًا في مسألة الجمع والشمول.

ومع كل ما سبق لم يصل حديث المقدمات بصفة عامة عن هذه المسألة إلى المستوى المطلوب والموازي للأهمية المشار إليها سابقًا؛ فبعض المقدمات تبعثر الحديث عنها في ثناياها، وبعض المقدمات تذكرها مبتورة أو غامضة أو في إشارة موجزة. وسوف نوضح ذلك كله في المبحث الثالث.

٤ – مدى اشتمال المقدمات على المقدمات العلمية:

من حسن الطالع أن مقدمة العين اشتملت على مقدمات علمية، عرضت لمجموعة من الموضوعات اللغوية، وأهمها المتصل بالأصوات والصرف، عماد البناء المعجمي، كما اشتملت على دراسة صوتية جادة تناولت إحصاء الأصوات العربية، وتحديد مخارجها، ومدى ائتلافها في تكوين الكلمات العربية، كما اشتملت على دراسة صرفية دقيقة حول الأبنية الأصلية للكلمات العربية ما بين الثنائي والخماسي، وتوزعها على الأسماء والأفعال، وإمكان الزيادة عليها.

وقد أثمرت هذه المقدمات العلمية بيانًا دقيقًا بخصائص العربية في الأصوات والاشتقاق والدلالة الصرفية والمعجمية، ومسائل في التقليبات وما ينشأ عنها من المهمل والمستعمل.

وعزلت مقدمة الجمهرة بين مقدمة المعجم والمقدمات العلمية، وهذا تنظيم وتطور يُحسب للمعجم.

واشتملت مقدمة التهذيب على مقدمات علمية تعرض لمصادر المادة، كما تضمنت مقدمة اللسان على مقدمتين علميتين لم تحملا جديدًا يُذكر، واشتملت مقدمة التاج على مقدمات علمية طويلة يُلاحظ عليها النقل شبه التام من المزهر للسيوطي.

وهناك مقدمات لم تشمل على مقدمات علمية؛ لأن أغلبها من القصير أو متوسط الطول، ومنها مقدمات (التاج) و (المقاييس) و (الأساس) و (القاموس) و (المصباح).

٥ – حديث المقدمات عن مصادر المادة المعجمية:

تُعد مسألة المصادر التي تعتمد عليها المعاجم في جمع مادتها لفظًا ومعنًى من المسائل المهمة في الصناعة المعجمية؛ لعدم قياسية المفردات، ولتنوع المعاني بتنوع المستعملين، والسياقات والأزمنة والأمكنة.

كانت مصادر الخليل بن أحمد رواياته عن الأعراب الذين شافههم في البادية وفي أطراف البصرة؛ ولذلك لم تشر مقدمة العين إلى أية مصادر، أو كتب، ولا ننسى أن الخليل كان يعيش خلال عصر الاحتجاج.

وجاء ابن دريد فجعل العين مصدرًا له، وأضاف إليه – كما أشارت المقدمة – كتبًا في اللغة والأدب والتفسير والتاريخ.

وتحدثت مقدمة (التهذيب) عن مصادر كثيرة يأتي في مقدمتها العين والجمهرة، إلى مشافهته الأعراب عشر سنوات.

وجاء بعد الأزهري معجميون مزجوا الرواية بالنقل والمشافهة فأشارت مقدمات إلى مصادر لنفس المؤلف، بالإضافة إلى المصادر الأخرى، ومن هذه المقدمات مقدمة القاموس.

وذكرت مقدمة اللسان خمسة مصادر أصول، أما التاج فذكرت مقدمته عددًا ضخمًا يفوق (١٢٠) المائة والعشرين مصدرًا في مجالات وعلوم مختلفة.

المبحث الثالث : تقييم وتحليل المناهج بين السلب والإيجاب

سوف يقدم هذا المبحث مواطن الضعف والقوة في مقدمات الأعمال المعجمية محل البحث مع الحرص على ذكر جوانب الإجادة دون السلب فحسب إحقاقًا للحق وإعطاء الأعمال ما تستحقه من تميز.

إن أول النقاط المضيئة إضاءة تامة أن الصناعة المعجمية عند العرب القدماء قد أحرزت سبقًا تاريخيًّا مشهودًا، ونضجًا واضحًا، وتقدمًا معترفًا به لهم،.. يصدق هذا الحكم على المعاجم، كما يصدق على مقدمات هذه المعاجم، ويدل على ذلك مقدمة العين أول معجم عربي وصل إلينا كاملاً، وأول المعاجم العربية اللفظية العامة. [٤٢]

والنقطة الثانية المضيئة أن المقدمات المدروسة صحيحة في مجملها وجيدة بصفة عامة، وغطت– في عمومها – النقاط الفنية والجزئيات التي تطالب الصناعة المعجمية الحديثة بوجودها في مقدمة المعجم، على الرغم من بُعد الزمن، وقلة الإمكانات، وندرة التجارب.

والدليل على ما سبق اشتمال هذه المقدمات في مجموعها على المسائل التي تُنسب إلى التصدير، والنقاط التي تُنسب إلى المقدمة، والتعليمات التي يتضمنها مرشد الاستعمال، وما يُنسب إلى المقدمات العلمية.

والنقطة المضيئة التالية مجيء أول مقدمة لأول معجم عربي مشتملة على كثير من النقاط الجوهرية المطلوبة في المقدمة، وإذا ما عُثر فيها على ملاحظات شفعت لها الأصالة والريادة والسبق والاكتمال؛ فقد اشتملت على ما يأتي:

- مبدأ الجذرية، وتحديد أصل المدخل المعجمي الخارجي، ذلك الأصل الذي سارت عليه غالبية المعاجم العربية على اختلاف مدارسها وتعدد نظم ترتيبها.
- مبدأ الاشتقاق، وهو مؤسَّس على المبدأ السابق، ومترجم له، وجامع لكثير من خصائص العربية صوتًا وصرفًا ودلالة. ويفيد هذا المبدأ معاجم الألفاظ في العربية في ترتيب المداخل الخارجية و في الترتيب الداخلي لمنتجات الجذر الواحد ، هذا إلى الإمساك بالمعاني العامة والفرعية ولسهولة النسبية في شرحها وتفسيرها.
- مبدأ الأبنية والكمية، وما ينشأ عنها من مبدأ التقليبات، تلك المبادئ التي يُؤسس عليها الضبط والحصر والإحصاء والشمول لجميع مفردات اللغة.
- فكرة المهمل والمستعمل، والعربي الأصيل والدخيل، والأبنية الشائعة والأبنية الثقيلة النادرة. وهذا كله يفيد في الجمع والترتيب وشرح المعنى، وبيان العلاقات الدلالية بين المداخل.

وهناك إلى ما سبق ما يمكن نسبته إلى (المقدمات العلمية)، وقد ذكرت المقدمة في هذا الجانب معلومات غاية في الأهمية والفوائد والدقة والضبط والصحة العلمية ما زالت حتى الآن مثار الإعجاب والتقدير.

كل هذه النقاط المضيئة وتفصيلاتها وردت في مقدمة العين، وأخذت منها كل المعاجم العربية التالية أخذًا مباشرًا، وأخذًا غير مباشر، سواء كان هذا الأخذ كثيرًا، أو قليلاً.

كل هذه جوانب مضيئة، بالإضافة إلى المسائل الفرعية المتفرقة في كل مقدمة على حدة مما يشتمل على جانبين أحدهما مضيء، والآخر عليه ملاحظات. وسوف نذكر هذا كله فيما يأتي:

١ – عدم التسلسل المنطقي، و تبعثر المعلومات و القضايا :

خلطت مقدمة العين بين المعلومات المتعلقة بالمنهج، والغرض، وإرشادات الاستعمال والمقدمات العلمية؛ الأمر الذي يشتت الذهن لدى مستعمل المعجم لصعوبة الحصول على المعلومة المطلوبة وسط النصوص المتداخلة.

ويلحق بالخلط، وعدم التسلسل المنطقي بعثرة المعلومة، وعدم توالي جزئياتها في مقدمة العين مما يتعلق بطريقة ترتيب المداخل الخارجية والداخلية، وبعثرة المعلومات الدالة على منهج المعجم بصفة عامة.

وفي مقدمة (الجمهرة) تباعدت المعلومات الدالة على منهج المعجم عن بعضها في أنحاء متفرقة، على الرغم من وجود التنظيم النسبي.

ونجد البعثرة كذلك في مقدمة (التهذيب) فيما يتصل بإرشاداتها التي تبعثرت بين الأبواب والمقدمة الأولى، كما تبعثر الحديث عن الأهداف أو الأغراض التي أُلِّف المعجم لتحقيقها.

وفي مقدمة (اللسان) تبعثرت المعلومات والإرشادات الموجهة إلى القارئ دون نظام، أو تسلسل وتركيز.

ولم تسلم مقدمة (القاموس) من البعثرة وعدم الانتظام في ذكر المعلومات، ومن ذلك بعثرة المعلومات الخاصة بالمنهج، وبعثرة الحديث الديني في موضعين مختلفين، كما عانت مقدمة التاج كذلك من بعثرة المعلومات. [٤٣]

٢- عدم الإشارة، أو الذكر لمعلومة ما، أو غموض بعض المعلومات:

لا ننسى أبدًا ونحن ندرس مقدمات المعاجم القديمة أنها أعمال فردية، قام بها أشخاص بمجهودهم وحدهم دون مساعدة من أحد، بخلاف المعاجم المعاصرة التي يقوم بإنجازها مجموعات وفرق عمل يكثر عددهم أو يقل إلا أنهم جمع من الأفراد على أي حال.

أما المعاجم القديمة فقام بصناعتها وتأليفها أفراد بدءًا من الخليل وختامًا بالزبيدي، بل إن منهم من ألف معجمين فأكثر في عمل يشبه الإعجاز. (٤٤)

ذكرنا الكلام السابق دفاعًا عن أصحاب مقدمات المعاجم المدروسة بصفة عامة وعن مقدمة الخليل بصفة خاصة.

تلك المقدمة التي لم تذكر المنهج المتبع في صناعة المعجم وخصائصه ونوع مستعمله، ولم تذكر المصادر التي استقى منها الخليل مادته المعجمية، كما لم تذكر منهج التعامل مع المعاني والشروح.

ولم تذكر المقدمة بعض القضايا المعتمدة في منهج المعجم على الرغم من تطبيقها في داخل المعجم، مثل فكرة التقليبات التي طرحت المقدمة مفهومها لكنها لم تذكر أنها سوف تطبقها في صناعة المعجم.

ولم تشر مقدمة (التهذيب) إلى منهج المعجم في التعامل مع المعاني والشروح، أما مقدمة (التاج) فلم تشر إلى نقاط كثيرة؛ نتيجة اختصارها وقصرها الواضح، ومن ذلك طريقة الترتيب الداخلي، وطريقة الاستعمال وكيفية التعامل مع المعاني، ومع المعلومات الصوتية والصرفية والنحوية، وكذلك الشريحة المعنية بالعمل، والمصادر، والغرض أو الهدف من المعجم.

ولنفس السبب السابق – القصر الشديد وإيجاز المقدمة – غاب عن مقدمة (المقاييس) كثير من المعلومات، مثل طريقة الترتيب الخارجية والداخلية، وإرشادات الاستعمال، على الرغم من اتباع المعجم طريقة خاصة في الترتيب غير مشهورة. وقد خلت المقدمة كذلك من المقدمات العلمية على الرغم من حاجة هذا المعجم إليها في بيان مستويات التحليل اللغوي التي تدرس المعجم، أو توضح آلية تناولها فيه.

ولم تذكر مقدمة (الأساس) إرشادات الاستعمال، ولا طرق الترتيب الداخلية والخارجية اكتفاء بمدح سهولتها. (٤٥)

كما لم تشر مقدمة (القاموس) إلى طريقة الترتيب الخارجي والداخلي على الرغم من إشارتها إلى إعجاب المؤلف بالصحاح،(٤٦) وأخذه عنه مادته، لكنه لم يشر صراحة إلى اتباع نظامه في الترتيب، وإن كان قد فعل ذلك في الداخل؛ فالمستعمل بحاجة إلى مرشد دائمًا.

ومع ذلك يرى بعض الباحثين أنه وُجدت على نسخة للمؤلف بخط يده أبيات توضح طريقة الترتيب الخارجي. (٤٧)

ومما يندرج في إطار هذه الملاحظة عدم إشارة المقدمة – مقدمة القاموس – إلى اهتمام المعجم بالألفاظ المولدة ومصطلحات العلوم على الرغم من ورودها في المادة المعجمية، ونقص المعلومات الخاصة بحدود المادة اللغوية المجموعة وطريقة جمعها وكميتها ومصادر المعجم ومميزاته وطرق البحث فيه، كل ذلك من القضايا التي غابت عن مقدمات (الصحاح) و(المقاييس) و(المصباح) بصفة مشتركة.

ولم تذكر مقدمة (التاج) طرق الترتيب الخارجية أو الداخلية أو طرق الشرح وترتيب المعاني، معتمدة في عدم الذكر على إشارة تفيد متابعتها للقاموس المحيط، وهذا غير كافٍ؛ لأنه ليس من الضرورة أن يكون العمل الشارح متبعًا تمامًا لمنهج العمل المشروح وترتيبه ولاسيما إذا كان الشارح قد أضاف مقدارًا هائلاً إلى المادة المعجمية المطروحة في المشروح.

كذلك لم تذكر مقدمة (التاج) آلية التعامل مع القيم الصوتية، والمستويات اللغوية، وخصوصًا اللهجات، على الرغم من وجود ذلك في المعجم. (٤٨)؛ ولذلك كان نقص المعلومات بصفة عامة حول المنهج حاضرًا في هذا المعجم.

٣ – المبالغة في عرض المحتويات:

يُفترض في المعلومات التي تعرضها المقدمات أن تكون موجزة بقدر ما هي محددة وواضحة ودالة على المراد دلالة كافية، وعلى هذا الأساس سارت محتويات معظم

المقدمات، بيد أن بعض المقدمات في بعض أجزائها – ولاسيما المقدمات العلمية – قد بالغ مبالغة واضحة، وظهر ذلك في مقدمة (العين) التي بالغت مقدماتها العلمية في تعاطيها مع بعض القضايا؛ حيث دخلت في البرهنة والاستشهاد[٤٩].

وليس هذا موضعها؛ فالمقدمات العلمية ينبغي أن تكون توجيهًا عامًّا بسيطًا للمتلقي؛ ليستطيع إدراكها، وبخاصة المعاجم العامة حتى تأخذ مساحة قليلة، ولا تتسع هذه المساحة، وتترك التفصيلات الدقيقة والمهمة إلى البحوث والكتب المتخصصة.

ويلاحظ على مقدمة العين أنها تحولت إلى كتاب لغوي متخصص، ومع ذلك قد يُلتمس له العذر من ناحية الأولية وإرادة التأسيس ومن ناحية عبقرية الخليل وبراعته، ومن ناحية ثالثة تدخل طبيعة المعجم ومنهجيته الصوتية البنائية.

ووقعت مقدمة (الجمهرة) كذلك في مثل ما سبق؛ إذ جاءت المقدمات العلمية طويلة ومفصلة ومجملة بالشواهد والمناقشات التي تخرجها عن الهدف الوظيفي الذي كُتبت من أجله في مقدمة المعجم، وقد بالغت مقدمة (التهذيب) في الحديث عن الرواة والسند إليهم فتحولت المقدمة إلى ما هو أشبه بكتاب تراجم وطبقات يفصّل في أحوال الرجال وأخبارهم، وهذا التفصيل ليس من شئون مقدمات المعاجم العامة حيث تعدى الأمر إلى سرد النصوص التي تقدح في بعض العلماء الذين جعلهم الأزهري في مرتبة وسطى يأخذ عنهم ما يصح، ويرفض ما لا يصح عند العرب[٥٠].

وقد امتد النقد إلى كتب الرجال ومناقشة بعض الآراء العلمية فيها باستفاضة[٥١] على الرغم من عدم وقوعها في إطار القضايا الرئيسة التي تصب في مصلحة مستعمل المعجم العام. ولا شك في أن هذا الجزء من المقدمة "يُعد من أهم الوثائق التي تتحدث عن المدارس اللغوية العربية"[٥٢] إلا أن موضعها الأنسب هو متون الكتب المختصة وليس المعاجم.

ومما يلحق بالملاحظات في هذه النقطة ما ورد في مقدمة (اللسان) عن المقدمتين العلميتين؛ حيث لم تحملا جديدًا يُذكر،[٥٣] وكان يكفي ذكر مختصر شديد لهما، أو إحالة إلى مصدريهما. ومع ذلك تبقى لصاحب اللسان رؤيته التي وجدت من يدافع عنها.[٥٤]

ومن مبالغات مقدمة (القاموس) حديثها الخاص بالثناء على الملك، وربما دخل في إطار هذه الملاحظة حديث الفيروزآبادي عن نفسه ومدحه معجمه. (٥٥)

ويلحق بها كذلك ما ورد في مقدمة (التاج) في عدة نقاط، منها ما يتعلق بذكر الدراسات السابقة للقاموس المحيط؛ تحمد الإشارة نفسها. لكن الإطالة الزائدة عن الحد ليست من عمل المقدمات؛ لأنها غير مبررة وتحمل صفات إنشائية أكثر من حملها سمات علمية وهذا غير محمود(٥٦).

ومن النقاط المبالغ في طولها كذلك القسم الثالث من المقدمات الذي كان يمكن الاستغناء عن صفحاته العديدة، ولاسيما ما يرتبط بشرح معاني الكلمات التي سوف ترد في داخل المعجم نفسه.

٤ - **الاضطراب في الآراء والقواعد**: وقد ظهر ذلك في مقدمة (الجمهرة)، ولعل السبب في ذلك راجع إلى تقليد ابن دريد للخليل وعدم خروجه من عباءته. (٥٧)

ومما يتصل بالاضطراب ما وقع في مقدمة (التاج) من التنافي أو التعارض، وذلك في عبارات المقدمة عن المنهج؛ تلك العبارات التي ينافي بعضها بعضًا. (٥٨)

٥ - **إظهار ملاحظات على مؤلفي المعاجم أنفسهم**: ذكرنا أن المعاجم العربية القديمة كانت أعمالاً فردية قام بها أشخاص دون معاونة من أحد، وينشأ عن ذلك بروز شخصية المؤلف في صفحات المعجم، مقدمة ومتنًا؛ ولذلك أظهرت بعض المقدمات سمات شخصية خاصة بالمؤلفين، فقد أظهرت مقدمة (العين) عبقرية الخليل، وأظهرت مقدمة (الجمهرة) رغبته في التيسير مع إعجابه الشديد بشخصية الخليل، أما مقدمة (التهذيب) فقد تأثرت بجوانب نفسية وشعورية لا يُحبذ وجودها في المناخ العلمي المؤسس على الدليل والمنطق، وظهر ذلك عندما مدح اللغة العربية(٥٩)، وربما دفع هذا الدكتور نصار إلى نقد الأزهري؛ لاعتداده بنفسه كثيرًا(٦٠).

وظهرت في مقدمة (الأساس) الخلفية المعرفية، والهوية الثقافية للمؤلف، وأثر ذلك في كتابة المقدمة بشكل واضح، كالحديث عن بعض القضايا الكلامية، وذكر رموز تياره الفكري

كالجاحظ والتركيز على علم البيان، والبلاغة؛ لأن مثل هذه الجوانب البلاغية تُعد من مرتكزات الفكر التأويلي الذي يتبناه المؤلف. (٦١)

ومما يتصل بهذه الملاحظة ما ورد في مقدمة (التاج) مما يفيد أن المؤلف لم يكن مرنًا في قبول النقد الذي قد يُوجَّه إلى عمله المعجمي. (٦٢)

الخاتمة : النتائج والتوصيات

بعد استعراض محتويات المقدمات المعجمية، وتحليلها، ونقدها نصل إلى نهاية البحث وخاتمته؛ لنذكر بعض النتائج، ونقترح بعض التوصيات، وفي هذا المقام لا ننسى الوظيفة الأساسية للمعجم اللغوي، وهي التيسير على مستعمليه، فما موقف المقدمات المدروسة من هذا الهدف، أو هذه الوظيفة؟

الحقيقة أن المقدمة الأولى لم تكشف عن ذلك بوضوح، وإن كان المعجم نفسه حققها بصورة أو بأخرى، لكنها بدأت تبرز ابتداء من مقدمة المعجم الثاني – الجمهرة – وظلت المقدمات التالية تظهرها وتحاول تنفيذها فتصيب كثيرًا، وتخفق قليلاً. ويقودنا الكلام السابق إلى النتيجة الثانية، وملخصها إدراك مدى التطور الحادث في المقدمات المدروسة من حيث ورودها في شكل موحد، أو في شكل تصدير ومقدمة ومقدمات علمية ومرشد الاستعمال، والبيان هنا أن التطور كان بطيئًا وخجولاً وقليلاً، بدأت ملامحه بمقدمة (الجمهرة)، وظهر في مقدمة (الأساس)، ووصل قمته في مقدمة (القاموس).

ومن النتائج كذلك أن كثيرًا من محتويات المقدمات في عمومها لم يُذكر في صلب المقدمة، على الرغم من تنفيذها في داخل المعاجم!! فهل كانت هذه الأمور واضحة زمن تأليف المعجم المعين؟ أم كانت غائبة عن ذهن المؤلف في أثناء تحرير المقدمة فقط؟ أم أن المؤلف كان يرى الاكتفاء بالتطبيق في داخل المعجم، وأن ذلك يغني عن التنويه به في صلب المقدمة؟ تلك تساؤلات تحتاج إلى مزيد من البحث والتحليل؛ للوصول إلى الرأي الأقرب إلى الصواب.

ومن النتائج كذلك نقص معلومات كثيرة أو قليلة في المقدمات تخص المنهج أو الهدف وغرض المعجم، أو المقدمات العلمية أو إرشادات الاستعمال، إلى غير ذلك من معلومات. ويتضح السبب في عدم ذكر بعض المعلومات المتعلقة بأي نقطة من محتويات المقدمة إلى أولية المعجم، كما في العين، أو إلى قصر المقدمة وإيجازها، كما في مقدمة الصحاح.

هذا عن النتائج، أما التوصيات والمقترحات التي يقدمها البحث في هذا المقام، فمنها ما يأتي:

يقترح البحث التنبيه على جميع الملاحظات النقدية المذكورة في المبحث الثالث أن ينفذها الراغبون في صناعة معجم لغوي جديد، ومن المقترحات الفرعية محاولة الالتزام بذكر الآليات التي توضح طرق الاستعمال، وكيفيات الإفادة من كل ما ورد في داخل المعجم، ولاسيما إذا كان الوارد مما يختص به هذا المعجم، كالنوادر في الجمهرة، وكثرة المرويات في التهذيب، والحقيقي والمجازي في الأساس، والمولد والمصطلحات في القاموس، واللهجات والاستدراكات في التاج... إلخ.

هوامش البحث وتعليقاته

(١) ترك العرب تراثًا معجميًّا ضخمًا ومتنوعًا، وتركوا معه تراثًا دلاليًّا ضخمًا كذلك، ولعل أول اعتراف في العصر الحديث بعظمة هذا التراث وتنوعه وضخامته ما صدر على ألسنة المستشرقين، وفي مقدمتهم "فيشر"، ثم توالت التصريحات التي تسير في نفس الاتجاه (انظر: نصار، د. حسين ، المعجم العربي نشأته وتطوره، ط٤، مكتبة مصر، القاهرة، ١٩٨٨م = ١٤٠٨هـ ، ص ك، ص١. (وسوف نذكره بعد ذلك بلفظ نصار اختصارًا).

(٢) لعل أول عمل تعرض لموضوع البحث بالدراسة هو مؤلف العلامة الدكتور حسين نصار (المعجم العربي نشأته وتطوره)، وعلى الرغم من ضخامة العمل، وشموليته وعمقه؛ فقد طرح دراسته للمقدمات بطريقة وصفية، وبوصفها جزءًا من المعاجم الكثيرة التي عرضها ودرسها؛ ومن ثم لم يدرسها وحدها ولم يكن همه ذلك.

أما بحثنا هذا فقد ركز على هذه المقدمات فقط، ولاسيما مقدمات المعاجم العامة، يستعرض محتوياتها بطريقة وصفية تقريرية، ثم يحلل هذه المحتويات تحليلاً شكليًّا ومضمونيًّا؛ لينتهي إلى نقدها واستنتاج نقاط دالة من حيث الصناعة المعجمية.

(٣) تؤدي المقدمات التي تُوضع في أول الأعمال العلمية بصفة عامة، وفي صدور المعاجم بصفة خاصة، تؤدي وظائف عديدة؛ توضح نسبة العمل إلى مؤلفه، وطريق روايته، وتشير إلى هدفه وسبب تأليفه، وتعرض منهجه وأسس هذا المنهج وخطواته، وما يتعلق به من طرق اختيار مادته اللغوية وطرق تفسيرها وشرحها، وكيفية ترتيبها ترتيبًا خارجيًّا وداخليًّا، كما تشير المقدمات إلى مسائل كثيرة أخرى سوف تُشرح بالتفصيل في صلب البحث.

(٤) هناك دلالات لغوية معجمية كثيرة لمادة (ع ج م)، لخص أصولها ابن فارس في (مقاييسه) قائلاً: " العين والجيم والميم ثلاثة أصول: أحدها يدل على سكوت وصمت، والآخر على صلابة وشدة، والآخر على عض ومذاقة" (ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبدالسلام هارون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٨م ، مادة: ع ج م).

وترد هذه الدلالات بتفريعاتها في معاجم العين (الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣م)، والصحاح (الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط٢، ١٤٠٢هـ= ١٩٨٢م)، واللسان (ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، ط ١، دار الحديث، القاهرة،٢٠٠٣م)، والتاج (الزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق عبد الستار فراج وآخرين، ط٣، وزارة الإعلام بدولة الكويت، ١٩٩٣م) وغيرها.

ويرجح الدكتور نصار أن لفظ (المعجم) مصدر بمنزلة الإعجام، مع التنبه إلى أنها قد تدل على اسم المفعول واسم المكان، وجاءت (معجم) الاصطلاحية من دلالة لفظ (معجم) لغة من الإعجام بمعنى إزالة الإبهام والغموض واللبس، من قولهم: حروف المعجم، وهو اختصار (حروف الخط المعجم)، ومن أجل ذلك وُصفت

الكتب التي راعت في ترتيبها حروف الهجاء أي مراعاة،...، بأنها تسير على حروف المعجم.
(انظر: العين والصحاح ومقاييس اللغة (ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبدالسلام هارون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٨م)، واللسان والتاج، مادة: ع ج م، وانظر كذلك: ابن جني، أبو الفتح عثمان، سر صناعة الإعراب، ط١، تحقيق: د.حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ١٩٨٥م،١/٣٨ – ٤١، نصار، ١/١١ – ١٤).

(٥) انظر: نصار، ١/١٣.

(٦) عمر، د. أحمد مختار، البحث اللغوي عند العرب، ط٦، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٨٨م، ص١٦٢.

(٧) انظر: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. لاروس، المعجم العربي الأساسي، ١٩٨٩م، مادة (ع ج م).

(٨) انظر: مدكور، د. عمرو، المعجم العربي المعاصر، ط١، دار البصائر، القاهرة، ٢٠٠٨م، ٢١.

(٩) انظر بحثي : أصول المعجم العربي، مجلة اللغة العربية و آدابها، جامعة مؤتة، الأردن، نوفمبر ٢٠١٣م.

(١٠) انظر: مجاهد، د. عبد الكريم، مناهج التأليف المعجمي عند العرب، ط١، دار الثقافة، عمان، ٢٠٠١م، ص٣٨, ٤١, ٦١، ٦٨... إلخ.

(١١) انظر: لسان العرب، مادة (ق د م).

(12) See: Bosvenesen. Translated by John sykes and Kerstin schofield. Practical Lexicography. Ox Ford university press. 1993 .p 111.

(١٣) انظر: نصار ص: ٤١، ٢٠٤، ٢٢٢، ٣٧٥، ... إلخ.

(١٤) انظر: السابق، ص٤٣، ٥١.

(١٥) انظر: درويش، د. عبدالله، المعاجم العربية (مع اعتناء خاص بمعجم العين للخليل بن أحمد)، طبعة المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة، ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م، ص٢٧.

(١٦) انظر: نصار، ص٧٩.

(١٧) عمر، د. أحمد مختار، صناعة المعجم الحديث، ط١، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٨م، ص١٠٥.

(١٨) وقد يؤدي اختلاف الرؤية في التأليف والتصنيف إلى ضم عناصر أخرى للمقدمة، ومنها: الشكر, والإهداء، ومعلومات النشر، وغير ذلك بشكل مدمج مع مقدمة المعجم، أو بشكل منفصل عنها ضمن المقدمات العامة.

([19]) See: R.R.K. Hartman and Gne. Gorg James; Dictionary Of Lexicography . By Routledge. London. 1998.p111 cpreface).

(٢٠) عبده، أشرف، معاجم المجمع المتخصصة، رسالة ماجستير مخطوطة بكلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ٢٠٠١م، ص٩٣.

(٢١) صناعة المعجم الحديث، ص١٠٥، وانظر كذلك: الخطيب، د. أحمد شفيق، من قضايا المعجمية العربية

المعاصرة، ط١، بحث ضمن كتاب (في المعجمية العربية المعاصرة)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٧م، ص ٢٣٠، ٢٣١، خليل، د. حلمي، علم اللغة عند ابن فارس بين النظرية والتطبيق، بحث ضمن أعمال (ندوة جمعية المعجمية العربية)، تونس، مايو ١٩٩٧م، ص ١١٥ –١١٦ ، القاسمي، د. علي، علم اللغة وصناعة المعجم، ط٣، مكتبة لبنان، بيروت، ٢٠٠٤م، ص١٧٠.

(٢٢) انظر: صناعة المعجم الحديث، ص١٠٦.

(23) See: Bergenholtz, H.& Trap,s.s Manual Of Specialized Lexicography.John Publishing company . Amsterdam,1995,P 170 and See: Dictionary Of Lexicography.P149.

(٢٤) صناعة المعجم الحديث، ص١٥٥.

(٢٥) السابق، نفس الصفحة.

(٢٦) من أهم المعلومات المقدمة في هذا الشأن ما يأتي:

- معلومات تتعلق بقدم اللفظ أو حداثته، وغالبًا ما يوصف اللفظ بواحدة من الأوصاف الآتية: ممات، مهجور، قديم/ تاريخي، تقليدي ، حديث، مستحدث، جاري الاستعمال.
- معلومات تتعلق بتكرار الاستعمال، ودرجة الشيوع. وعادة ما يُشار إلى قلة الاستعمال بأن اللفظ نادر.
- معلومات تتعلق بحظر الاستعمال، أو تقييده، أو إباحته.
- معلومات تتعلق بالمستويين؛ الثقافي والاجتماعي.
- معلومات تتعلق بمعيارية اللفظ، أو عدم معياريته. ويشار إلى ذلك بواحد من الأوصاف التالية: اللغة المعيارية – اللغة الأدبية – اللغة العامية – الكلام الشعبي. (انظر: صناعة المعجم الحديث من ص١٥٦ إلى ص١٥٩).

(٢٧) انظر: معاجم المجمع المتخصصة، ص٩٤.

(٢٨) يُفهم هذا الغرض الحصري الشمولي من قول الخليل: "فلا يخرج منها عنه شيء" (العين، ص٣٤).

(٢٩) الذي سماها تصديرًا هو الدكتور نصار، انظر: نصار، ٣١٨/٢.

(٣٠) يشير إلى طبيعة المادة المجموعة، وحصرها في الواضح المعروف قوله: "على أنا ألغينا المنكر، واستعملنا المعروف". (انظر: ابن دريد، محمد بن الحسن، جمهرة اللغة، تحقيق: د. رمزي البعلبكي، ط١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧م، ٤١/١).

(٣١) انظر شرح هذا المنهج عند نصار، ٣١٩/١.

(٣٢) يتضح في هذه المسألة مدى تأثير الخليل فيمن تلاه.

(٣٣) ابن عباد، الصاحب إسماعيل، المحيط في اللغة، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٤١٤هـ =١٩٩٤م، ٥٧/١.

([٣٤]) انظر السابق، ص ٥٨، ٥٩، ٦٠.

([٣٥]) انظر: مقاييس اللغة، ٢٤/١.

([٣٦]) أخذ ابن سيده منهج الخليل – بعد إصلاح الزبيدي له في مختصره – وسار عليه دون تغيير، فرتب على المخارج، وقسَّم كل حرف حسب الأبنية بادئًا بالثنائي منتهيًا بالخماسي، وملأ هذه الأبواب بالتقاليب، ورسم خطة محكمة يسير عليها في انتقاء الألفاظ التي يسردها تحت كل تقليب، ويصنع أمورًا، منها الحذف أو التنبيه أو التمييز أو التخليص.

([٣٧]) قالت المقدمة: "وإنما هي تماجيد لذاته المكونة لجميع الذوات لا استعانة – ثمّ – بالأسباب، ولا استظهارًا بالأدوات" (انظر: الزمخشري، محمود بن عمر، معجم أساس البلاغة، ط١، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٣م، ص١٧).

(٣٨) انظر: الفيومي، أحمد بن محمد، المصباح المنير، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٣م، ص٥.

([٣٩]) اهتمت المقدمة – على غير عادة المعاجم القديمة – بشرح طريقة المعجم في ترتيب المواد داخل الباب الواحد مع اقتران ذلك الشرح بشرح حول المنهج في التعامل مع جانب ضبط الكلمات وتصاريفها اشتقاقيًّا وصرفيًّا إلا أن تلك الشروح كانت غير سهلة وعباراتها بحاجة إلى تبسيط، كقول المقدمة: "إن ذكر المصدر مع مثال دخل في التمثيل، وإلا فلا" (ص٥). وقد استخدمت المقدمة اصطلاحات وأفكارًا لغوية ربما لا يعرفها غير المختصين، كقولها: " وأما الأسماء الزائدة على الأصول الثلاثة فإن وافق ثالثها لام ثلاثي ذكرته في ترجمته"، ص٥.

([٤٠]) انظر مقدمات هذه المعاجم، وانظر منها على سبيل التحديد، أساس البلاغة، ص١٧، ١٨.

([٤١]) نعرض لتفصيلات هذا الجزء من المبحث الثاني دون الإشارة إلى مصادر المقدمات المدروسة اعتمادًا على معرفتها، وعلى ما سبق عرضه في المبحث الأول.

([٤٢]) انظر: الخطيب، د. عدنان، المعجم العربي بين الماضي والحاضر، ط٢، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٩٤م، ص٣٥، ومن المعلوم أن أوائل الأعمال وبواكيرها أكثر عرضة من غيرها للنقص أو الزلل أو الاضطراب. (انظر: نصار، ص٢٤٨).

([٤٣]) انظر مقدمة التاج، ص ٤، ٥، ٩، ١٠.

([٤٤]) من هؤلاء ابن فارس صاحب المجمل والمقاييس، وابن سيده صاحب المحكم والمخصص.

([٤٥]) انظر: مناهج التأليف المعجمي عند العرب، ص٤٢٦.

([٤٦]) انظر: القاموس المحيط، ص٢٢.

(٤٧) انظر: القاموس المحيط، ص٨، وانظر: مناهج التأليف المعجمي عند العرب، ص٦١٨، والبيتان هما:

إذا رُضْت في القاموس كشفًا للفظة فآخرها اللباب والبدء للفصل

ولا تعتبر في بدئهـا وأخيرهـــــا مزيدًا ولكن اعتبارك بالأصل

(٤٨) انظر: التاج، الجذر(خ ر أ)، ص ٢٠٩، والجذر (د ف أ)، ص ٢٢٨.

(٤٩) انظر مثلاً: قضية اشتقاق أبنية المضاعف من بعض أنواع البناء الثلاثي، ص ٤٠.

(٥٠) انظر: الأزهري، محمد بن أحمد، معجم تهذيب اللغة، تحقيق: د. رياض قاسم، ط١، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠١م، ص ٤٢.

(٥١) انظر: السابق، ص ٥١.

(٥٢) عبد العزيز، د. محمد حسن، مصادر البحث اللغوي، ط١، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠٠٩م، ص ١٨١.

(٥٣) السابق، ص ١٩٦.

(٥٤) انظر: نصار، ص ٦٣١.

(٥٥) انظر: نصار، ص ٤٥٨، وانظر: القاموس المحيط، ص ٢٢؛ حيث يزكي الفيروزآبادي نفسه، وحيث يزكي معجمه، ويشيد به، ص ٢٦ .

(٥٦) انظر: التاج، ص ٢، وانظر كذلك: المعتوق، د. أحمد محمد، المعاجم اللغوية العربية، ط١، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ١٩٩٩م، ص٣٩، ٤٠.

(٥٧) انظر: نصار، ص٣٢٠، الراجحي، د. شرف الدين، محمد بن دريد وكتابه الجمهرة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٥م، ٢٠ ص٢٧٣، بحيري، د. سعيد، المدخل إلى مصادر اللغة العربية، ط٢، مؤسسة المختار للنشر، القاهرة، ٢٠٠٨م، ص٢٦٨.

(٥٨) انظر: التاج، ص٦ ، ٧ ، ١٠.

(٥٩) انظر: التهذيب، ص٢٨.

(٦٠) انظر: السابق، ٢٦٢.

(٦١) انظر: الصراف، د. علي محمود، أثر العقيدة في الصناعة المعجمية، بحث منشور بالمجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت، الكويت، العدد ١١٢، ٢٠١٠م، ص٩٩.

(٦٢) انظر: التاج، ص١١.

مصادر البحث

أولاً: المصادر:

١ – الأزهري، محمد بن أحمد، معجم تهذيب اللغة، تحقيق: د. رياض قاسم، ط١، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠١م.

٢ – ابن دريد، محمد بن الحسن، جمهرة اللغة، تحقيق: د. رمزي البعلبكي، ط١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧م.

٣ – ابن سيده، علي بن إسماعيل، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج وآخرين، ط٢، معهد المخطوطات العربية، القاهرة، ٢٠٠٣م.

٤– ابن عباد، الصاحب إسماعيل، المحيط في اللغة، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٤١٤هـ =١٩٩٤م.

٥– ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبدالسلام هارون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٨م.

٦– ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، ط ١، دار الحديث، القاهرة،٢٠٠٣م.

٧– الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط٢، ١٤٠٢هـ= ١٩٨٢م.

٨ – الزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق عبد الستار فراج وآخرين، ط٣، وزارة الإعلام بدولة الكويت، ١٩٩٣م.

٩ – الزمخشري، محمود بن عمر، معجم أساس البلاغة، ط١، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٣م.

١٠ – الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣م.

١١– الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، ط٣، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠٨م.

١٢ – الفيومي، أحمد بن محمد، المصباح المنير، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٣م.

ثانياً: المراجع العربية:

١٣– أحمد، د. عبد السميع محمد, المعاجم العربية دراسة تحليلية، دار الفكر العربي، القاهرة، (د. ت).

١٤ – بحيري، د. سعيد، المدخل إلى مصادر اللغة العربية، ط٢، مؤسسة المختار للنشر، القاهرة، ٢٠٠٨م.

١٥ – الخطيب، د. أحمد شفيق، من قضايا المعجمية العربية المعاصرة، ط١، بحث ضمن كتاب (في المعجمية العربية المعاصرة)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٧م.

١٦ – الخطيب، د. عدنان، المعجم العربي بين الماضي والحاضر، ط٢، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٩٤م.

١٧ – خليل، د. حلمي، علم اللغة عند ابن فارس بين النظرية والتطبيق، بحث ضمن أعمال (ندوة جمعية المعجمية العربية)، تونس، مايو ١٩٩٧م.

١٨ – درويش، د. عبدالله، المعاجم العربية (مع اعتناء خاص بمعجم العين للخليل بن أحمد)، طبعة المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة، ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م.

١٩ – الراجحي، د. شرف الدين، محمد بن دريد وكتابه الجمهرة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٥م.

٢٠ – الصراف، د. علي محمود، أثر العقيدة في الصناعة المعجمية، بحث منشور بالمجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت، الكويت، العدد ١١٢، ٢٠١٠م.

٢١ – عبده، أشرف، معاجم المجمع المتخصصة، رسالة ماجستير مخطوطة بكلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ٢٠٠١م.

٢٢ – عبد العزيز، د. محمد حسن، مصادر البحث اللغوي، ط١، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠٠٩م.

٢٣ – عمر، د. أحمد مختار، البحث اللغوي عند العرب، ط٦، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٨٨م.

٢٤ – عمر، د. أحمد مختار، صناعة المعجم الحديث، ط١، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٨م.

٢٥ – القاسمي، د. علي، علم اللغة وصناعة المعجم، ط٣، مكتبة لبنان، بيروت، ٢٠٠٤م.

٢٦ – مجاهد، د. عبد الكريم، مناهج التأليف المعجمي عند العرب، ط١، دار الثقافة، عمان، ٢٠٠١م.

٢٧ – مجمع اللغة العربية، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، العدد ١١٠، جمادى الأولى ١٤٢٨هـ = مايو ٢٠٠٧م.

٢٨ – المعتوق، د. أحمد محمد، المعاجم اللغوية العربية، ط١، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ١٩٩٩م.

٢٩ – المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. لاروس، المعجم العربي الأساسي، ١٩٨٩م.

٣٠ – نصار، د. حسين، المعجم العربي نشأته وتطوره، ط٤، مكتبة مصر، القاهرة، ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م.

ثالثاً: المراجع الأجنبية:

31 – Bergen holtz, H. & Trap, S. Manual of Specialised Lexicography. John Publishing Company. Amsterdam. 1995.

32 – Bosvensen. Translated by John Sykes and Kerstin Schofield. Practical Lexicography. Oxford University Press 1993.

33 – R.R.k.Hart man and Gne. Gory James Dictionary of Lexicography by Routledge. London. 1998.